﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ۝١٠٠﴾ [الأنبياء: 98 - 100]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

بعد الاعترافِ بالحسرة والنَّدامة يَحسُنُ التَّوبيخُ والتَّقريعُ

ورد في الآيات السّابقة أنّ الكفّار أمامَ أحداثِ اليومِ الآخِر يَذهلون، وتَشخص أبصارُهم، ويتسمَّرون[1] في مواضعهم من هول الموقف، ولمّا كان هذا مَحَلًّا يَخطر بالبال فيه آلهتُهم؛ بما يترجَّونَهُ منها من النفْع؛ قال مُعنّفًا لهم ومُحَقّرًا: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[2]؛ فهو انتقالٌ من بيانِ حال الكفّار وما صدر عنهم من شديد النَّدم وعظيمِ الحَسْرة إلى بيان ما يأتيهم فوقَ ذلك من تقريعٍ وتوبيخٍ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَصَبُ﴾: (حصب) أصلٌ يَدُلُّ على جِنْسٍ من أجزاءِ الأرضِ، ثُمَّ يُشتَقُّ منه؛ فالحَصباءُ جنسٌ من الحَصى[3]، والحَصَبُ: كُلُّ ما ألقَيْتَه في النّار من حَطَبٍ وغَيْرِه[4]، وقالَ الفرّاءُ: الحَصَبُ في لُغَةِ أهل نَجْدٍ: ما رَمَيْتَ به في النّارِ[5]؛ وعليه فالمُرادُ بالحَصَبِ في الآية: اسمٌ بمعنى المَحصوبِ به، أي: المَرميِّ به في جهنَّم[6].

2) ﴿وَٰرِدُونَ﴾: (ورد) أصْلٌ يَدُلُّ على الموافاةِ إلى الشَّيْءِ[7]، يُقالُ:

(1) تسمَّرَ، يتسمَّر، تسمُّرًا، فهو مُتسمِّر، والمفعول مُتَسَمَّرٌ فيه، وتسمَّر الشَّخصُ في مكانِه: مُطاوِع سمَّرَ: ثبت فيه ولم يتحرّك، أحمد مختار عمر، معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة: (سمر).

(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 12/ 482.

(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حصب).

(4) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب: (حصب).

(5) الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 212.

(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 153.

(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ورد).

أورَدَه الماءَ؛ أيْ: جَعَلَه يَرِدُهُ، ووَرَدَ البَعيرُ وغَيْرُهُ الماءَ، يَرِدُهُ، وُرودًا: إذا بَلَغَهُ ووافاهُ من غير دُخولٍ، وقد يَحْصُلُ دُخولٌ فيه، وخِلافُه: الصَّدَرُ، وهو التَّراجُعُ عن الماءِ بعد الشُّرْبِ[1]، والوِرْدُ أيضًا: الجُزْءُ أو النَّصيبُ من قِراءة القرآنِ؛ لأنّه يُجَزِّئُهُ أجزاءً، فيقرؤُه وِرْدًا وِرْدًا[2]، والجَمْعُ: أوْرادٌ، والوُرودُ في الآيةِ معناهُ: البلوغُ والدُّخولُ، أي: إتيانُ النّارِ والعذابُ فيها.

3) ﴿زَفِيرٌ﴾: (زفر) أصلٌ يدلُّ على صَوْتٍ من الأصواتِ، والزَّفْرُ والزَّفيرُ أن يملأ الرَّجُلُ صَدْرَهُ غَمًّا، ثُمَّ هو يَزْفِرُ بِهِ، وقال الزَّجّاجُ: الزَّفْرُ من شِدّةِ الأنينِ وقَبيحِهِ، والزَّفيرُ: أوّل نَهيق الحمار وشِبْهِهِ، والزَّفيرُ في الآية مُرادٌ بِهِ: النَّفَسُ يخرجُ من أقصى الرِّئتيْنِ لضغطِ الهواءِ من التَّأثُّرِ بالغَمِّ، وهو هنا من أحوالِ المُشركينَ دونَ الأصنامِ[3]، أو هو لهيب جهنّم[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مـصـيرُ الـزَّعـمِ الكاذِبِ العذابُ الرّادعُ والعقابُ الزّاجر

تُبيِّن الآيات ما سيُقال للمُكذّبين من أهل مكّةَ ومَن على شاكلتكم ممّن يعبدون غيرَ اللّهِ تعالى، حيثُ يُرْمَى بهم وبمعبوداتهم في نار جهنّم، فهم عليها واردون، وفيها داخلون، فلا تعصِمُهم منها آلهتُهم كما لا تعصِمُ نفسَها منها، فكيف يعبدونها؟[5]، ولو كانت هذه الأصنامُ والأندادُ الَّتي اتّخذوها من دون اللّه آلهةً صحيحةً لما وردوا النّار ولما دخلوها، والعابدونَ ومعبوداتُهم كلُّهم فيها خالدون[6]، ولأهل مكّة وسِواهُم من المُشركين في جهنّم أنفاسٌ متتابعةٌ تخرج

(1) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ورد).
(2) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (ورد).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 153.
(4) النّيسابوريّ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 5/ 55.
(5) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 6/ 1159.
(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 377.

من صدورهم، يُحاولون بها تنفيسَ ما بهم من وقود النّارِ وسوءِ الحال، وهم في النّار لا يسمع بعضُهم زفيرَ بعضٍ ولا صُراخَهم؛ لشِدّة ما يُعانونَهُ جسديًّا ونفسيًّا[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علّة فصلِ الآيةِ عمّا قبلَها:

انتظارُ الجوابِ الأكيد يسلخُ الفضولَ الشّديدَ

فُصِلَ قولُه تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ عمّا قبلَه للاستئناف البيانيّ؛ إذ يترقّبُ السّامعُ الرّدَّ عليهم، وقد اعترفوا بأنّهم كانوا في غفلةٍ من القيامة، وأنّهم كانوا ظالمين؛ فجاء الرّدُّ مُخيِّبًا لآمالهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ دالًّا على أنَّ اعترافَهم يومَ القيامة بما كان منهم في الدّنيا من غفلةٍ وظُلم لا ينفعُهم هنالك، وكذلك فُصِلت جملة ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ عن سابقتها؛ لأنّ السّابقة من كلام الكفّار، وهذه من كلام الله تعالى؛ فالجهةُ مُنفَكّةٌ.

غرضُ حذفِ جملة القول:

المفاجأة تقوى على النَّفسِ بما لا يقوى عليه العقلُ

كما حُذِف القولُ المُقدَّر قبل قولهم: ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ﴾، كذلك حُذِفَ القولُ المُقدّر قبلَ الرّدِّ عليهم وجيءَ بمقوله مباشرةً: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾؛ أيْ: قيل لهم: إنّكم وما تعبدون، أو يُقال لهم، ونحو ذلك، والحذفُ للإيجازِ، ولخُلوِّ ذِكْره من نُكْتة، مع تحقيق عنصر المُباغَتَة فيما سيُقال لهم.

غرضُ التّوكيد ودلالتُه:

اعترافاتُ الكُفّار يومَ القيامة لاغيَةٌ؛ وعذاباتُهم باقية

جاء قولُه تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ مُؤكَّدًا كَرَدِّ فعلٍ لإنكارهم مضمونَ الخبرِ من جهة[2]، ولإلغاء كلّ قيمة لاعترافاتهم منَ الجهة الأخرى: ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾؛ لأنّ المُعترِفَ بالذّنب يرجو قبولَ اعترافِه به واعتذارِه عنه؛ لكن هيْهات وقدِ

(1) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 6/ 1160.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 482.

انطوت الفرصةُ بانطواء الدّنيا، ومصيرُهم إلى يوم الحساب، والتّأكيد هنا لحُكمَيْن: أنّهم حَصَبُ جهنّم، وأنّ ما يعبدون من دونِ اللّه تعالى معهم كذلك حصبُ جهنّم؛ ويُقرِّر أنّ ما كانوا يُؤمِّلون شفاعتَه هلَكَ معهم؛ بل كان عذابًا عليهم.

معنى (ما) ودلالةُ استعمالها:

مَـــن أحَـــبَّ شيئًا فـرضيَ به محبوبُه حُشِر معه

(ما) في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ موصولة تختصر عديدَ الأسماء والأصنام والآلهة المزعومة الّتي كانوا يعبدونها من دون اللّه تعالى، فأغنتْ (ما) عن ذِكْر جميعِ معبوداتِهم على امتداد الحياة الدّنيا؛ لتصبّ عليهمُ الغضبَ والعقاب. "وهذا الحُكم عامٌّ فيهم وفي كلِّ مَن عَبد غيرَ اللّهِ على شاكلتهم، كالذين يعبدون الكواكبَ أو الأشجارَ أو نحوَها، أمّا المعبوداتُ العاقلةُ المؤمنةُ فلا تدخل في هذا العموم"[1]؛ لأنّ "(ما) لِما لا يَعقِل، فلا يتناول العقلاءَ كالملائكة والمسيح"[2].

سِرّ التّعبير بالمضارع ﴿تَعْبُدُونَ﴾:

رغم أنّ عبادة الكفّار معبودين مكذوبين كانت ماضيًا في الحياة الدّنيا؛ إلّا أنّ التّعبير بالمضارع ﴿تَعْبُدُونَ﴾ يستحضر معصيتَهم كأنّها ماثلةٌ أمامَ أعينهم.

نوع حرف ﴿مِن﴾ ودلالتُه:

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ تُفيد ابتداءَ الغاية؛ أيْ: جعلتُموهم غايتَكم، واعتبرتُموهم أمانَكم وحِصْنَكم الّذي إليه تُؤْوون؛ فاليومَ يكونون عليكم لهيبًا وعذابًا أليمًا.

كـــلُّ مـعـبـودٍ بـاطـلٍ هـو دونَ الـلـه تـعـالى في الاسـتـحـقـاق والدّليل

براعةُ استعمال ﴿دُونِ﴾:

في التّعبير بكلمة ﴿دُونِ﴾، وعدمِ التّعبير بكلمة (غير) لفتةٌ

(1) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 6/ 1159.
(2) الطّوفيّ، الإشارات الإلَهيّة، ص: 443.

بارعة، وهي التّنبيه على أنّ كلّ معبودٍ يُعبَد غيرَ الله تعالى هو ﴿دُونِ ٱللَّهِ﴾ ﷻ؛ وأنّ "رُتبةَ ما عبدوه مِن أدنى المراتب الكائنة تحتَ رُتبته سبحانه، فهو المَلِك الأعلى الَّذي لا كُفْؤَ له"[1]؛ وفي ذلك دليلٌ على أنّه لا يصلح أنّ يكون إلهًا معبودًا حقيقيًّا إلّا اللّهُ سبحانه وتعالى.

فائدة ذِكْر لفظِ الجلالة:

مقامُ العبوديّة يقتضي ذِكْرَ الإلهِ الواحدِ الأحدِ صراحةً

آثَر النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنّ المنوطَ بالعبادة، والمنوطةَ به العبادةُ الخالصةُ إنّما هو المعبودُ بحَقّ؛ وهو ﴿ٱللَّهِ﴾ تعالى، وليس المقام لذِكْر عنوانِ الرّبوبيَّة؛ لأنّه مقامُ عقوبةٍ على التّقصير في حَقّ المعبود الأحَق بالعبادة ﷻ، أمّا لفظُ الرّبّ فمقاماتُه الملائمةُ هي مقاماتُ التّربيةِ والعطاءِ والإغداقِ والخيرِ الرّبانيّ الَّذي تُفيضه الرّبوبيّةُ على مَربوبيها.

بلاغةُ الإخبارِ عن المعطوفِ والمعطوفِ عليه بخبرٍ واحد:

الموصول عنصرُ تشويقٍ بإبهامِه وعنصرُ ثراءٍ دلاليّ بِصِلَتِه

عُطِفَ الموصولُ مع صلته ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ على المبتدأ ﴿إِنَّكُمۡ﴾؛ لجمْعها في خبرٍ واحدٍ ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾؛ والأصل: (إنّكم حصبُ جهنّم وما تعبدونَ من دون الله حصبُ جهنّم كذلك)، لكنْ جُمِعا في خبرٍ واحدٍ؛ إشارةً إلى جمعهما في دار الجحيم مع بعضهم البعض؛ وكنايةً عن عجْز معبوداتهم من دون الله تعالى على إنجاء أنفسهم، فضلًا عن إنجائهم من الاحتراق في جهنَم كالحَصَب والحَطب، ففي جمع المعبودينَ مع العابدين قبلَ الوصول إلى الخبر، وصبِّ الخبرِ عليهم جميعًا، دَعْمٌ لِلحسرة واليأس والنَّدم في نفوس الكفّار العابدين؛ إذ أُلقيت معهم آلهتُهم في نار جهنّم؛ بل أُلْقوا جميعًا فيها إلقاءً لا رحمةَ فيه.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 482.

دلالةُ استعمالِ لفظ ﴿حَصَبُ﴾ دونَ مرادفاتها:

الإيحاءُ برهبة الموقف وذُلِّ المعذَّبين

لِلَفظِ ﴿حَصَبُ﴾ إيحاءٌ ترهيبيٌّ؛ لما يحتمل من الدّلالات ما يجعله مَخوفًا مَحذورًا، والمعنى "يُرْمَى بهم في جهنّم رَمْيَ الحجارة الصّغارِ الَّتي تُسَمّى الحصباء إلى المحصوب إسراعًا وإكراهًا، فيكونون وقودَها من غير إخراج"[1]؛ بل إنّهم هم أنفسهم "الحصى الَّذي تُحصَب به جهنّم، بلا وزنٍ ولا حسابٍ"[2].

نُكْتَةُ ذِكْرِ اسمِ ﴿جَهَنَّمَ﴾:

لِجهنَّمَ عذابٌ معنويٌّ بِجَهامَتِها إلى عذابها الحِسّيِّ بإحراقِها

﴿جَهَنَّمَ﴾ عَلَمٌ على دار العقاب الموقَدة نارًا، "وأكثر النّحويّين على أنّها اسم للنّار الَّتي يُعذّب اللّهُ بها في الآخرة؛ وهي أعجميّة لا تجري للتّعريف والعُجْمة، وقال آخرون: جهنَّم اسم عربيٌّ، سُمّيت نارُ الآخرة به لبُعد قَعْرِها"[3]، والجِهِنّامُ القَعْرُ البعيد[4]، وقد سمّاها اللّهُ تعالى (نارًا) في كتابه في مواضعَ كثيرةٍ، وجعل وقودَها النّاسَ والحِجارة[5]، و﴿جَهَنَّمَ﴾ أوديةٌ كثيرةٌ؛ مثل: الويل، وسَقر، وغيرهما، وفيها أصنافُ العذاب عديدة، مثل: التّعذيب بالزّمهرير، وبالحيّات، والعقارب، والصّديد، وغيرِ ذلك منَ العذاب الحِسّيِّ والمَعنويّ، وما ذَكَر اللّهُ تعالى هنا من باب التّهديد المُرعب؛ لعلّهم يفيقون من ضلالهم.

موقع جملةِ ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ البيانيّ:

الدّلالاتُ القرآنيّةُ متواثقةٌ يقتضي بعضُها بعضًا

جاءتْ جملة ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ "بيانًا لجملة ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾؛ والمقصود منه تقريب الحَصَبِ بهم في جهنّم، لِما يدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَٰرِدُونَ﴾ من الاتِّصاف بوُرود النّار في الحال، كما هو شأن الخبر باسم الفاعل؛ فإنّه حقيقةٌ في الحال،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 482.
(2) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 9/ 956.
(3) ابن الأنباريّ، الزّاهر: 2/ 146.
(4) ابن منظور، لسان العرب: (جهنم).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/ 271.

مجازٌ في الاستقبال"[1]، كما يحتمل أن تكون جملةُ ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ فَصِلتْ عن جملة ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ لما بينهما من كمال الاتّصال؛ إذِ الثّانية حاصلةٌ ومفهومةٌ من الأولى، فما داموا هم ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، فإنّهم قَطْعًا ﴿لَهَا وَارِدُونَ﴾، فبينَهما ما بينَ المُؤكِّد والمُؤكَّد من اتّصالٍ ذاتيٍّ، لا يحتاج إلى واصلٍ لفظيّ.

بلاغةُ الجملة الاسميَّة:

قطعيَّةُ ورودِ الكافرين النّارَ كقطعيَّة وجودِها

في التّعبير بالجملة الاسميّة ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ تتأكّد دلالةُ القَطعِ والثّبوت، وأنَّهم - لا شَكّ - لها واردون، وفي تقديم ﴿أَنتُمْ﴾ تتجلّى دلالةُ القَصْر الإضافيّ؛ أيْ: أنتم دونَ المؤمنين المتّبعين الأنبياءَ المَذكورين واردوها قطعًا، وإذا اعتبرنا جهنّمَ هنا هي دار الجحيم المُقيم الخاصّة بالكافرين، لا الأوديةُ المُعَدّةُ لتطهيرِ عُصاةِ المؤمنين؛ فالقَصْر في ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ حقيقيٌّ تحقيقيٌّ؛ أمّا إذا أُريدَ بها جميع النّيرانِ؛ فالتّقديم يُفيد التّوكيدَ والقطعَ لهم بوِرْدِها لا محالةَ، بقطع النّظر عن التّعرُّض لغيرهم بورودِها أو عدمِ ورودِها.

نُكْتَةُ تقديمِ الجارّ والمجرور على الخبر:

ورودُ النّار اختصَّ بأهلِها أصالةً

تقديم الجارّ والمجرور ﴿لَهَا﴾ على الخبر ﴿وَارِدُونَ﴾ أفاد الاختصاصَ والدّلالةَ على أنَّ ورودَهم لأجلها[2]، وأنّها تسعد بإلقائهم فيها، وفي الحديث الشّريف أنَّ اللّه تعالى يقول للجنّة والنّار: "لِكُلٍّ واحِدَةٍ مِنْهُما مِلْؤُها"[3]، فهم واردون لأجلها، وهذا يدلُّ على أنَّ أعمال الكافرين تدور حولَ ورودِ النّار في ذلك المشهد العظيم.

نُكْتَةُ استعمالِ حرف (اللّام):

جهنمُ تختصّ بالكفّار وهم بها يختصّون

في إيثار التّقييد بحرفِ (اللّام) في قوله تعالى: ﴿لَهَا وَارِدُونَ﴾

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 153.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 61.
(3) أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (4569)، ومسلم في صحيحه، برقم: (2846).

دون (إلى) إشارةٌ إلى معنى الاختصاص والمِلْك؛ أيّ: أنتُم تختصّون بها وهي تمتلكُكُم، تصنعُ بكُم وفيكُم منَ الأهوال ما تشاء، والنّار يومَ القيامة لها اعتبار: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: 12]، وهو ما يُؤكِّد دلالةَ تقديم الجارِّ والمَجرور على الخبر، والأصل أن يُعَدَّى الورودُ بحرف: (إلى) أو (على)، فيُقال في غير القرآن الكريم: إليها واردون، أو عليها واردون، لكنّ النّظمَ الكريمَ أخبرَ أنّهم ﴿لَهَا﴾ واردون، وكأنّ وُرودَهم كان لأجلها، ولتوفيتها حقَّها، كما أنَّ اللّام في ﴿لَهَا﴾ "للتّقويَة؛ لضعف عمل اسمِ الفاعل"[1].

براعةُ الاستعارةِ التَّهكميَّة:

ورودُ الكفّارِ النّارَ كـوُرودِ الـدَّوابّ الماءَ

المقصود بـ ﴿وَارِدُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾؛ "أيّ: واقعون فيها"[2]، وفي التّعبير بالورود هنا تهكُّمٌ بهم، وإزراءٌ عليهم؛ لأنّ الورودَ يكون للشُّرب والرّي والإبراد؛ لكنّه استُعمل هنا للعذاب وصِلاءِ الحرارة؛ ففيه استعارَةٌ تهكُّميَّة تلميحيّة بتشبيه إلقائهم في جهنّم بوارد الخيلِ والإبلِ العِطاشِ الماءَ لِترتوي.

بلاغة استعمال ﴿لَوْ﴾:

المذهبُ الكلاميُّ فـنٌّ بـديـعـيٌّ يُستدلُّ به على بُـطـلان حُـجَّـة الخصْمِ

تقييدُ كونِ معبوداتهم المزعومة آلهةً بـ ﴿لَوْ﴾ يُؤكّد كذِبَ دعواهم أُلوهيّتَها، ويُقيمُ الدّليلَ العقليَّ المنطقيَّ على كَذِبهم في ذلك، وفي هذا الأسلوب فنٌّ بديعيٌّ هو المذهب الكلاميُّ: وهو احتجاج المُتكلِّم على ما يُريد إثباتَه بِحُجّة تقطع المعاندَ له، على طريقة أرباب الكلام، أوِ استنتاجُ النّتائجِ الصّحيحة من المُقدّمات الصّادقة[3]، فـ ﴿لَوْ﴾ تدلُّ على استحالة كونهم آلهةً أصلًا، وأنّهم على افتراض ذلك كان يُفترَض أن يمتنعوا عن وُرودهم جهنّم، وكان بإمكانهم أن يَعترضوا

(1) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 506.
(2) الماتُريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 7/ 377.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 364.

على إقحامهم فيها وحَصْبِها وإثارتِها بهم؛ إذِ الإلهُ الحقّ هو القادر على فعل ما يريد، وهؤلاء لا إرادةَ لهم، فيستدلُّ النّظمُ الكريم بكونهم مسلوبي الإرادةِ، وبأنّهم حَصَبُ جهنّم على كَذِب دعوى الكفّار ألوهيّتَها، "فمَنْ يُرمَى إلى النّار لا يمكن أن يكون إلهًا"[1].

فائدةُ استعمال ﴿كَانَ﴾ دون (أنَّ):

الإلهُ الحقُّ أزليٌّ والآلهةُ المزعومة زائلةٌ

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: ولم يَقُلْ: (لو أنَّ هؤلاء)؛ وذلك لأنَّ كون تلك المعبودات الموهومة آلهةً لا يُؤكَّد أصلًا؛ ليُقال: لو أنَّ هؤلاء آلهة ما وردوها؛ لذلك تحاشى النّظمُ الكريم التّعبيرَ بـ (أنّ) وعدل إلى ﴿كَانَ﴾؛ ليدُلَّ بـ ﴿كَانَ﴾ على أنّ الإله الحقَّ أزليُّ الألوهيّةِ، وأنّ هؤلاء لو (كانوا) آلهةً لحَمَوا أنفسَهم من الإلقاء في جهنّم، وذلك مما يَدْعَم الدّليل العقابيّ المنطقيّ المُكذِّبَ دعوى الكفّارِ ألوهيّتَها.

سِرُّ التّعبير باسم الإشارة ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾:

في التّعبير باسم الإشارة ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ دون (أولئك) إشارةٌ إلى ضحالتِهم ونزولِهم عن رُتبة الأُلوهيَّة الحقيقيَّة الصّادقة، وأنَّهم ليسوا هنالك من بُعْد المنزلةِ وسُموِّ المكانة.

نُكْتَةُ وصفِ المعبودات بالأُلوهيَّة دونَ الرُّبوبيَّة:

النِّـزاع مـعَ المـشـركـين في اتِّخاذهم آلهةً يعبدونها لا في زعمهم ربوبيّتَها

نَفَى النّظمُ الكريم عن تلك الآلهة المزعومة الأُلوهيّةَ في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً﴾؛ لأنَّ المقامَ مقامُ إزراءٍ بهم، وحطٍّ من شأنهم عن مكانة الأُلوهيَّة المعبودة، ولا مجالَ لنفي الرّبوبيَّة الّتي تقتضي الرّزقَ والتّدبيرَ والرّعايةَ والعنايةَ؛ فتلك كذبُها أوضح، ونفيُها عنها أولى؛ إذ في نفي الأُلوهيَّة عنها نفيٌ للرّبوبيّة بطريق اللّزوم، والكفّارُ ادَّعوا لها الأُلوهيَّة لا الرّبوبيّة؛ تهرُّبًا إلى ما قد يَقبل المُماراةَ في تفنيده، أمّا تفنيدُ دعوى ربوبيّتِها فأيسرُ؛ لإمكان طلبِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 188.

الدّليل المُعجِز، فأُقيمَ الدّليل المَنطقيُّ هنا على كَذِب تلك الدّعوى وإثباتِ كونها آلهةً.

دلالة النّفي بأداة ﴿مَّا﴾:

نـفـيُ المـاضي في مقام الاحتجاجِ العقليّ آكَدُ من نفي المضارع

جاء نفيُ وُرودِ الآلهة المزعومة النّارَ بأداةِ ﴿مَّا﴾ النّافيةِ في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَاۖ﴾ دون (لم)؛ لأنَّ ﴿مَّا﴾ تنفي الماضي، و(لم) تنفي المضارعَ، ونفي الماضي في مقام الاحتجاج العقليّ آكَدُ في أنّهم دخلوا جهنّم فعلًا؛ بدليل الآية السّابقة ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ وليس فقط أنّهم ورَدوها، فأكَّدَت ﴿مَّا﴾ مع الماضي ﴿وَرَدُوهَاۖ﴾ القطعَ بوُرودِهم عليها؛ بل إقحامهم فيها؛ وذلك دليلُ كَذِبِ دعوى الكفّار بأنَّها آلهةٌ تستحِقّ أن تُعبَد أصلًا.

فائدة نفي (الورود) دونَ (الدّخول):

التّـنـبـيـهُ على الأعـلـى بـالأدنى أثـبـتُ لـلـحُـجّة وأدحضُ لدعوى الخَصم

علَّق النّظمُ الكريم نفيَ ورودِ الآلهة المزعومة النّارَ على كونها آلهةً حقيقيّةً دون دخولِها في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَاۖ﴾؛ من باب التّنبيه على الأعلى بالأدنى؛ فالآلهةُ لا تَرِد النّارَ أصلًا، فضلًا أن تدخلها، فما بالكم وهُم مع عابديهم في جهنّم خالدون وليسوا فقط معهم واردين؟!

ثمّ إنّ ورود الآلهةِ النّارَ يستلزم إلقاءَها فيها؛ لأنَّها وردتها على سبيل الامتهان؛ ولِمُعاقبة عابديها بها؛ فلا بُدّ أنْ يَتبعَ دخولَها النّارَ وُرودُها إليها، والتّعبيرُ بالوُرود على حقيقته من الوصول إلى الشّيء، ولا يُعبِّر عن الإقحام فيه أو التّأثّر به، فعلَّق نفيَ الورودِ هنا على افتراض أنَّها آلهةٌ حقيقيةً؛ إذِ الإلهُ لا يَرِد النّارَ على سبيل المعاقبة أصلًا، فضلًا عن أن يُلقَى فيها، وهذه العناصر التّركيبيّةُ كلُّها تتآزَرُ على تكذيب كونها آلهةً جديرةً بالعبادة من دون الله تعالى.

فنُّ الجناسِ في لَفْظَي ﴿وَارِدُونَ﴾ و﴿وَرَدُوهَآ﴾:

جـنـاسٌ لفظيٌّ واخـتـلافٌ دلاليٌّ وتضادٌ في النَّفي والإثبات

بين لفظِ: ﴿وَارِدُونَ﴾ في قوله تعالى سابقًا: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ وبين ﴿مَّا وَرَدُوهَآ﴾ طباقُ سلب من جهة اللّفظ؛ إذ جمع النّظمُ الكريمُ بين مصدري الفعل (ورد)؛ أحدُهما مُثبتٌ والآخَر منفيٌّ؛ فحقَّق في النّفس عنصر المخادَعة البديعيَّة الَّتي أقرَّها البلاغيون وجْه تأثيرٍ نفسيٍّ للطِّباق البديعيِّ، وكذلك بينهما جناسٌ خاصٌّ باختلاف معنيَيْهما، واتّفاق لفظيْهما في أكثر من جهة؛ فالأوّل من وُرود الماء للرّيّ على سبيل التّهكّم، والآخَرُ من المَجيء إلى المكان، وبينهما بَوْنٌ كبير؛ فتحقّق الجناسُ اللّافت كذلك.

بلاغةُ الإخبارِ بصيغةِ الماضي:

الـقـطـعُ بـخـبرِ المستقبلِ من صفاتِ الواحدِ الأحدِ

جاء الإخبار عن وُرود الآلهةِ المكذوبةِ النّارَ بصيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿مَّا وَرَدُوهَآ﴾ من باب القَطْع بتحقُّق الوقوع؛ لأنّ الله تعالى يمتلك الزّمانَ والمكانَ، كلَّ الزّمانِ وكلَّ المكان؛ فالمستقبلُ بالنّسبة لنا هو ماضٍ بالنّسبة له ﷻ؛ فالإخبارُ عن ورود الآلهةِ النّارَ هو في حقيقته إخبارٌ عن قطعيٍّ لا يستطيع الوعدَ به إلّا الإلهُ الحقُّ سبحانه، وقد شاع في القرآن الكريم ذلك الضَّرْبُ من التّعبير؛ أي الإخبارُ عن الأمور المستقبليّة بصيغة الماضي، كما قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: 1]؛ فأخبر عن يوم القيامة بالماضي ﴿أَتَىٰٓ﴾ [النحل: 1]، بينما هو لم يأتِ بعدُ، بدليل قوله في الآية نفسِها: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: 1]؛ أيْ: لم يأتِ بعد.

تعيينُ مرجعِ ضميرِ الجماعة:

وُرود الآلـهـةِ المزعومةِ جهنَّمَ تبكيتٌ لِعُبّادِها وتـعـريـضٌ بخُدّامِها

المُخْبَر عنهم بضمير الجماعة في الفعل ﴿وَرَدُوهَآ﴾ هم "العابدون والمعبودون، وقيل: ما ورد المعبودون فقط، لكنّهم ورَدوها فلم يكونوا آلهةً، وفي هذا تبكيتٌ لِعُبّاد الأصنام، وتوبيخٌ شديد"[1]، وقد يُقصَد

(1) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 506.

بهم بعضُ الآلهةِ الضّالّة من البشر؛ وهم "أولئكَ الضّالّون المَغْرورون، الَّذين دَعَوا النّاسَ إلى عبادتِهم، وأقاموا أنفسَهم آلهةً عليهم"[1] مثلُ فرعونَ وغيرِه، وفي هذا تلويحٌ وتعريضٌ لكلِّ مَنْ زَعَم نفسَه إلهًا من دون اللّه تعالى بالأمر والنَّهي، والتّشريع والتّنظيم، فيما لم يأذَنْ بهِ اللّهُ تعالى.

معنى الواو ودلالتُها:

كلّ ما خلا الله باطل

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ واو الحال؛ أيْ: كيف تكون هذه آلهةً وهي مع الكفّار حصَبُ جهنّم؟ وهذا داعمٌ آخَر من دعائم الدّليل العقليّ المنطقيّ، على أنّ تلك الآلهةَ المعبودةَ من دون اللّه تعالى مزعومةٌ مُفْتَراةٌ.

فائدةُ تنوينِ العوض:

الإيجازُ للوصولِ إلى محطِّ الفائدةِ

أصل التّعبير قبلَ دخول تنوين العِوَض على لفظِ ﴿وَكُلٌّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: كلُّ أولئك، أو: كلُّ العابدين لغير اللّه تعالى، ومعبوديهم من دون اللّه ﷻ، فأوجزَ هذا كلَّه تنوينُ العِوَض في لفظ العموم ﴿وَكُلٌّ﴾، وطواه بمُجرَّد ضمَّةٍ أخرى غيرِ ضمّةِ الإعراب؛ لتتمحّضَ عنايةُ المُتلقّي وتتوفّرَ على تدبُّر الحُكْم الآتي، الَّذي يُمثّل دليلًا على كَذِب القضية كلِّها، والحُكم بأنّهم ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾؛ أيْ: خالدون في نار جهنّم.

غرضُ تقديم الجارّ والمجرور على الخبر:

المُستقرُّ الأبديّ للكفّار ومعبوداتِهم جهنّم لا سواها

تقديمُ الجارِّ والمجرور ﴿فِيهَا﴾ على المسنَد في قوله تعالى: ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يفيدُ القَصْرَ الحقيقيَّ؛ لنفي خلودِهم في غير جهنّمَ البتَّة؛ أيْ: إنّ هؤلاء المشركين وآلهتَهم المكذوبةَ في جهنّمَ لا في غيرها يكون خلودُهُم الأبديّ، ولا تزال كلُّ تلك العناصرِ اللّفظيَّةِ والأسلوبيَّة تتآزر على تأكيد كَذِب دعوى الكفّارِ أُلوهيّةَ اللّاتِ والعُزّى ومَناة وغيرِها

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 9/ 956.

من الآلهة المكذوبة، ولا تزال تتضافَر على دعم الدّليل المنطقيّ العقليّ على نفي الأُلوهيّة الحَقّة عنها، وتوجب لهم كما توجب على عابديهم الخلودَ في جهنّم.

بلاغةُ استعمالِ حرفِ الظَّرفيّة:

جـوفُ جهنَّم مُستقرُّ الكفّارِ وآلهتِهم المزعومةِ

دلَّ حرفُ الظّرفيَّة في جملة ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ على أنَّ جوفَ جهنَّمَ مستقرُّهم، وأنَّها تشتمل عليهم اشتمالَ الظّرف على المظروف، وأنَّهم ﴿فِيهَا﴾ وفي أعماقها على سبيل الحقيقة، وفي أحشائها يكون خلودُهم.

نُكْتَةُ التّعبير باسم الفاعل ﴿خَٰلِدُونَ﴾:

رَفْضُ الكافرِ التَّوحيدَ يقودُه إلى الخلود في النّار

في التّعبير باسم الفاعل ﴿خَٰلِدُونَ﴾ مع أنّهم فيها (مخلَّدون)؛ أيْ: مُرغَمون على الخلود فيها لا ﴿خَٰلِدُونَ﴾ برغباتهم، وهو كأنَّهم أصحابُ قرار الخلود فيها؛ وذلك برفضهم الإقرارَ بوحدانيَّة الإله الحقّ سبحانه وتعالى، وبرضاهم بعبوديّة سواه من آلهة سمَّوها من تلقائهم؛ فهم بذلك حكموا على أنفسهم بالخلود في النّار، وما ظُلموا في هذا التّخليد؛ فمَنِ اختار سببَ الشّيءِ كمَنِ اختار الشّيءَ نفسَه، ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ۝٤٩﴾ [الكهف: 49].

بلاغةُ التّذْييل:

توكيدُ الكلامِ السّابق ترسيخٌ لكذِبِ الكافرين في دعواهم

التَّذييلُ بجملة الحال ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ بما تشتمل عليه من خصوصيّات التّركيب تلك، يُقرِّر كَذِبَ قضيّةِ الكفر، وينسفُ دعوى استحقاقِ بعضِ المخلوقين صفةَ الأُلوهيّة أو جدارتهم بالعبوديّة، وهذه الجملة هي الدّليل الثّاني بعد جملة ﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ﴾ الدّالّة على كَذِب تلك القضيّة؛ فهي بمثابة التّوكيد لما تقدَّم، من استحقاق أهل الباطل العذابَ على اختيارِهم المُنبِئ عن التّكذيب بالحقِّ، والعناد على الباطل.

عِلَّةُ فصلِ جملة ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾:

بيانُ المُتقدِّم وتوكيد معناه من موجِبات الفصل

فُصِلت جملةُ ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ عمّا قبلَها للاستئناف البيانيّ، كأنَّ سائلًا سأل: وما عذابُهم فيها؟ فجاء الجواب: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾، أو لكمال الاتّصال، باعتبارِها بيانًا وتوكيدًا للخلود في النّار، فإنَّ الخالد يتنفّس، وتنفُّسُه هذا بيانٌ لوجه الخلود، وتوكيدٌ لمعناه.

غرضُ تقديمِ المُسنَد ﴿لَهُمْ﴾:

مُتنفَّسُ الكفارِ في جهنّم الأنفاسُ الحَرَّى الملتهبة

قُدّم المُسنَد ﴿لَهُمْ﴾ على المُسنَد إليه ﴿زَفِيرٌ﴾ في جملة ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾؛ لتأكيد الخبر المُقدَّم، وهو القطع لهم بدليل المعاناة - وهو الزّفير - والزّفيرُ عمليّةُ إخراج النّفَس المُلتَهب النّاتجِ عن معاناة داخليّة كبيرة؛ فلا مُتنفَّسَ لهم إلّا تلك الأنفاسُ الحَرَّى، الّتي يُفرغون فيها من معاناتهم النّفسيّة، وآلامِهم الرّوحيّة المكبوتة.

معنى اللّام في ﴿لَهُمْ﴾ ومرجع الضّمير فيها:

أهلُ الكفرِ جديرون بالعذاب الّذي أُعدّ لهم

اللّام في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ لامُ الاختصاص؛ فهم يختصّون به، وهو يختصّ بهم، وهم لا ينفكّون عنه، وهو لا ينفكّ عنهم، كما تُفيده لامُ ﴿لَهُمْ﴾ من استحقاق، فهم يستحقّون ذلك العذابَ، وهم جديرون به؛ إذ لا جُرمَ أعظمُ من جُرمهم.

والضّمير في ﴿لَهُمْ﴾ يَرجع إلى "عَبَدَةِ الأصنام"[1] المُخاطَبين بقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

نُكْتَةُ تكرارِ حرف الظَّرفيَّة:

تصوير المعاناةِ من الدّاخل العميق والجوف الغائر

تكرَّر ذكرُ القيد بالظّرف الجارِّ والمجرور ﴿فِيهَا﴾ بعد أن سبق في جملة ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾؛ لتقريرِ كَبِّهم في قاع جهنَّم، وتأكيد أنّ زفيرَهم يأتي من أعماقها، وأنّهم يُعالجون النّار تَنَفُّسًا واحتراقًا من داخلهم، كما يعانونها من خارجهم، فإنَّ حرف الظَّرفيَّة يُصوِّر

(1) القشيريّ، لطائف الإشارات: 2/ 524.

المعاناةَ من الدّاخل العميق والجوف الغائر والحرِّ المُلتهب، ليُحدث للمخاطبين بعد ذلك ذِكْرًا ينهاهم عن غيِّهم، ويُسعدهم في حيِّهم.

توجيهُ تخصيصِ الزّفير بالذِّكْر:

يـكـاد يـبـلـغ الـعـذابُ بأهل الـنّـارِّ إلى عدم الـقُـدرة على الشّهيق

إذا كان الزّفير هنا بمعنى اللّهيب[1]؛ وتسميةُ اللّهيب زفيرًا مناسبٌ من حيثُ دلالتُه على ارتفاع درجة الحرارة، ولا حرارةَ في الشَّهيق؛ لأنَّه سحبُ الهواءِ البارد من الجوِّ إلى داخل الجوف؛ فيرطّبُ الدّاخلَ ويُسَرّي عنه بعضَ ما يجدُ.

نوعُ الواو ودلالتُها:

تـضـافـرُ أحـوالِ العذاب تصعيدٌ شديدٌ وتعذيبٌ عتيدٌ

الواو في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ عطفٌ على جملة ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾، ويصِحّ أن تكون للحال؛ فتكون الجملةُ بعدَها حالًا بعد حالٍ بعد حالٍ: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾؛ فتتضافُرُ على كشف أحوالِهم في جهنّم، وهي أحوالٌ صعبةٌ، تتصعّد بهم في نارِ جهنَّم؛ ليكتسبوا عذابًا بعد العذاب، كما اكتسبوا الكفرَ بعد التّكذيبِ والعِناد.

نُكْتَةُ تكرارِ ﴿فِيهَا﴾:

تـوكـيـدُ المُكث في النّار قَطْعٌ لمَظنَّة النَّجاة

تكرّر حرفُ الظَّرفيَّة للمرّة الثّالثة في السّياق المُتقارب؛ إلحاحًا على القَطْع بأنَّهم ساقطون في قعر جهنَّم لا محالة، وأنَّهم ﴿فِيهَا﴾ يُعانون، وفي أحشائها يُعذَّبون بما هنالك من أسباب العذاب وأدواته، ممّا لا يُرجى معه خلاصٌ ولا نجاةٌ، ولا حتى تخفيفٌ.

غرضُ الجملةِ الاسميّة:

الكفّار في جهنّم دائـمـون على حال الصَّمَم

التّعبير بالجملة الاسميّة: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ يُفيد دوامَ الكفّارِ على هذه الحالة الأليمة الشّديدة؛ فالمعاناة مُضاعفةٌ، والعذابُ كثيفٌ.

(1) النّيسابوريّ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 5/ 55.

نُكْتَةُ تقديمِ الجارّ والمجرور على الخبر:

جـــزاءُ رفـــضِ سماعِ الذِّكر في الدُّنيا فقدُه في الآخرة

تقديمُ القَيْد بالجارِّ والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ على الخبر ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ ليس لإفادة سماعِهم في غيرها؛ إذ لا غيرَ لهم أصلًا، وإنَّما لتقرير الخبر، والقطعِ بأنّهم سيكونون فيها محرومين من نعمة السّمع الَّتي عطَّلوها في الدُّنيا عن إيصال الحقّ إلى القلب؛ فكأنَّهم يُعاقَبون بنقيض نِعَمِ الله تعالى عليهم في الدّنيا، فلمّا رفضوا سماعَ الذِّكر في الدُّنيا؛ عاقبهمُ اللّهُ تعالى جزاءً وفاقًا على صنيعهم.

توجيهُ تخصيصِ نفيِ السَّماع بالذِّكر:

فـــقـــدُ ســمـعِ الأخـبـارِ عـذابٌ نفسيٌّ ومعنويٌّ

يُحرِّم الكفارُ السَّمعَ في جهنَّم لأسباب كثيرة؛ منها أنّ "سماع الأشياء روحٌ وأُنْس؛ فمنع الله تعالى الكفّار ذلك في النار"[1]، كذلك يُحرمون السَّماع لأنَّ "تَعْمية الأخبار مما يُعدِم القرارَ، ويُعظِم الأكدار"[2]، كذلك يَحرمهم السّمْعَ شدَّة العذاب، والزَّفير المُلتهب.

فائدةُ التّعبيرِ بالمضارع ﴿يَسْمَعُونَ﴾:

نفيُ صيغةِ المضارعة في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ يَسْلُب منها دلالةَ التَّجدُّد؛ ليُفيدَ الفعلُ دوامَ صَمَمِهم وثبوتَه فيهم، وعدمَ ارتفاعِه عنهم البتَّةَ، وثباتَ حالِهم على تلك المعاناة.

نُكْتَةُ حذفِ مفعول ﴿يَسْمَعُونَ﴾:

تنـزيـلُ الفعل المُتعـدّي منزلةَ الـــلّازم لنفي السَّماع مُطلقًا

حذَفَ النّظمُ الكريم مفعولَ ﴿يَسْمَعُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾، والتَّقدير: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ "نداءً يُبشّرُهم بانقضاء عقوبتِهم"[3]، و"لا يسمعون شيئًا؛ لأنَّهم يُحشَرون صُمًّا، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 345.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 12/ 483.
(3) القُشيريّ، لطائف الإشارات: 2/ 524.

[الإسراء: 97]"[1]، أو يُنزَّل فعلُ ﴿يَسۡمَعُونَ﴾ منزلةَ الفعلِ اللّازم؛ لإفادة مُجرَّد إثباتِ الفعل للفاعل، بِغضِّ النّظر عن مسموعٍ مُعيّنٍ، فأثبتَ لهم الصّممَ العامَّ بحيثُ لا يسمعون أيَّ شيءٍ، وما الظّنّ بأعمى أصمّ في قعر جهنّم، تنهشه الأفاعي والعقاربُ وهوامُّ أوديتِها، ممّا لا يعلمه إلّا الله تعالى؟!

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الحَصَب والحَصَى:

الحَصَبُ والحَصْبةُ: الحِجارةُ والحَصَى، واحِدَتُهُ: حَصَبةٌ، والحَصَبُ: كُلُّ ما ألقَيْتَه في النّار من حَطَب وغَيْرِه[2]، والحَصَى: صِغارُ الحجارة، وثلاث حَصَياتٍ، والواحدة: حَصاةٌ، والحَصَى: العددُ الكثير[3].

الحَصَبُ ما يُلقَى في النّار والحجارةُ الكبيرة والحَصَى صغارُها

الوُرود والإتيان:

الوُرودُ: قَصْد الماء، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ [القصص: 23]، واستُعمل في النّار على سبيل الفظاعة، قال تعالى: ﴿فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨﴾ [هود: 98][4].

الوُرود الإتيانُ إلى الماء بخاصّة والإتيانُ المَجيءُ عمومًا

و"الإتيان: مَجيءٌ بسهولةٍ، ومنه قيل للسيل المارّ على وجهه: أتيٌّ وأتاويّ، والإتيان يُقال للمَجيء بالذّات وبالأمر وبالتّدبير، ويُقال في الخير وفي الشّرِّ، وفي الأعيان والأعراض نحو قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الأنعام: 40]"[5].

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 345.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (حصب).
(3) الفراهيديّ، العين: (حصى).
(4) الرّاغب، المُفردات: (ورد).
(5) الرّاغب، المُفردات: (أتى).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 34 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-76-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 34 : المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-76-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»